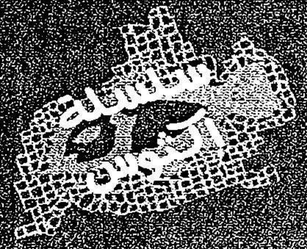

سلسلة إكثوس

إيبارشية أيرلندا واسكتلندا
وشمال شرق انجلترا

لكى لا ننكر المسيح

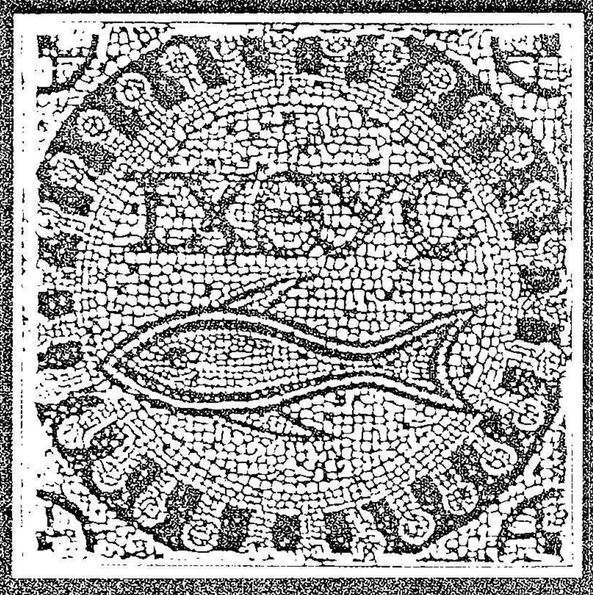

لماذا يرتد البعض؟!

St. Athanasius Monastery

Langdal End Scarborough, North Yorksahire,
YO13-0LH, England - UK
Telephone : +44 (0) 1723 882341

www.bishopantony.org
E-mail : stathanasiusmonastery@yahoo.com

إيبارشية أيرلندا واسكتلندا
وشمال شرق انجلترا

لكى لا ننكر المسيح

لماذا يرتد البعض؟

القس
أثناسيوس فهمى چورچ

سلسلة إكثوس

قداسة البابا شنوده الثالث
بابا الإسكندرية
وبطريرك الكرازة المرقسية

نيافة الأنبا أنطونى
أسقف أيرلندا واسكتلندا
وشمال شرق انجلترا وتوابعها

اسم الكتاب : لكى لا تنكر المسيح
المؤلف : القس / أثناسيوس فهمى جورج
الناشر : دير القديس أثناسيوس الرسولى
إيبارشية أيرلندا واسكتلندا وشمال شرق انجلترا
الطبعة : الأولى
تاريخ النشر : يوليو ٢٠٠٧
تجهيز فنى وتنفيذ : الرواد ـ ت : ٤٨٤٤٦٢٣ (٠٣)

مقدمة
لماذا يرتد البعض؟
لكى لا ننكر المسيح

* الشيطان دائماً يقاوم مملكة المسيح لانه قد أن الآوان لنسل المرأة أن يسحق رأس الحية (تك ٣ :١٥) أنه يحارب إرادة الله بعد أن ضاق بامتداد الملكوت، وهو لا يزال يصرخ «ما لنا ولك يا يسوع أتيت لتهلكنا» (لو٤:٣٤) يثير الاضطهاد والضلال والشكوك والغواية فى كل عصر، يحارب بر المسيح ذاك البر الالهى الحقيقى، إنه لا يطيق الطهارة ولا السلام والوداعة والحب والاتضاع والخير والنور والتعفف.. إذ أنه عدو وقتال للناس منذ البدء وهو المشتكى والكذاب وأبو الكذاب، الذى سمته الكنيسة «غير الرحيم» ضد المسيح الذى يعمل فى أبناء المعصية، والانبياء الكذبة، والذئاب الخاطفة الضالة. بينما مصيره فى المحصلة النهائية، فى البحيرة المتقدمة بالنار والكبريت (رؤ٢٠:١٠).

* لقد حذرنا المسيح ربنا «انظروا لا يضلكم أحد» (مر١٣:١٥) نلبس سلاحه الكامل حتى نقدر أن نثبت ضد مكائد إبليس (اف ٦:١٠) حيث أنه يجول ينفث سمومه وغضبه وهلاكه. ليقتنص من يبتلع وعوده وإغراءاته الكاذبة أو وعيده وتهديده. لكن الله صادق فى وعده وهو لا يشمخ عليه، أى لا يسخر منه Mocked at، فما يزرعه الانسان أياه يحصد، وأيضا من يزرع للجسد... للخطية، فمن الجسد والخطية يحصد فساداً، ومن يرتد انما يدين نفسه ويقطع نفسه بنفسه من الكرمة، فالمرتد لا يسر به الله (عب ١٠:٣٦) ويكون ارتداده للهلاك ، أما الايمان هو طريق اقتناء النفس.

أن توصيف حالة الشخص المرتد انما هى : الدوس على ابن الله، وتدنيس دم العهد الجديد الذى استأمنه عليه الله، والازدراء بالروح

القدس ويعمل نعمته.. اذ أن كل من يرتد عن الايمان الحق انما يفترى ويهين خلاص المخلص، غير مقدر البركات الالهية التى للحرية وللفداء، وبجهالة يرجع إلى العبودية التى انقذ منها، بدلا من أن يصون إيمانه ويحفظ دعوته، حيث أن الذى فدانا قادر أن يحميهم إلى التمام. فليس أحد يضع يده على المحراث وينظر إلى الوراء يصلح لملكوت الله (لو٩:٦٢)، والارتداد للخلف «إلى الوراء» أمر شرير، اذ العبرة لا لمن يبدأ بل لمن يكمل ولمن يصبر إلى المنتهى فيخلص. أما من ينظر للخلف يكون كنصب تذكارى للنفس المرتدة غير المؤمنة... لذا يوصى الاباء بالابتعاد عن الارتباك والنكوص والتباطؤ، وبضرورة التكميل بسبب زيت المسحة التى قبلناها، وبالتجاوب مع النعمة بالسلوك لئلا نكون قد اخذنا النعمة عبثاً، نعترف بعمل الله معنا ونعيش كما يحق لانجيله مع كل الذين امتدحهم الرب لأنهم تاجروا بوزناتهم وربحوا.

* أن ضرورة تثبيت الايمان هى قضية الابدية، وهى وظيفة تمس بنيان كيان الكنيسة أم الاولاد الفرحة (مز١١٣:٩) التى تلد اعضاءها وتجمعهم وتحفظهم لحياة أبدية.. تسلمهم الايمان المتين بالتربية والتوعية والتقوية المستمرة، وسط تيارات الانحراف والإغراء والزعزعة والانجذاب والطياشة والهجوم المسعور على العقيدة.

* فالمجهود المطلوب كبير والمرتجى أكبر، والحصاد كثير يحتاج إلى فعلة يرسلهم رب الحصاد للافتقاد والتعليم والرعاية وخدمة الاحتياجات خلال المؤشر الجغرافى والاسرى والشخصى والفئوى والمجتمعى بالخرائط والتدابير اللازمة على كل الاصعدة. لنثبت اخوتنا ونفتقد سلامتهم حتى يتمسكوا بالمواعيد الالهية وينحصنوا بالرجاء الحى، بسطاء كالحمام حكماء كالحيات (مت١٠:١٦) مستعدين لمجاوبة كل من يسألنا عن سبب الرجاء الذى فينا (١بط٣:١٥) ولنجعل دعوتنا واختيارنا ثابتين

بالاعمال الصالحة حتى لا نُزل ابداً (٢بط١:١٠) عالمين أننا دعينا لكى نرث البركة، عندما يأتى الديان ولايبطىء، حيث يرث الحكماء مجداً (أم٣:٣٥) والاغبياء حماقة (أم ١٤:١٨).

* ليت الله يرسل فعلة لصيد النفوس إلى شبكته الالهية.. يحملون صليبه الظاهر للعيان حينا والمختفى فى قلوبهم احياناً كثيرة، فعله لهم سيرتهم بالتقوى والقداسة، غيورين على مجد الله كل حين، متذكرين اكاليلهم مهما كانت الجراح والصعاب، مقتدين بالسخاء الذى لا يعير. لهم ركب منحنية ونفوس مترفقة تحتمل الجهد والسفر والتعب والتفتيش والنقاش والعطاء بروح الالتزام والاحساس بالمسئولية مع احتمال الالام والاتعاب والتحلى بالستر والسرية.

* والان نستودع بين يديك يا سيدنا الرب هذه الدراسة كى تكون لمجد اسمك القدوس وسبب بركة ومنفعة لمن يقرأ ويعمل.. ذاكراً النماذج الحية التى عاينتها عن قرب فى نصيب هذه الخدمة والذين هم الان عندك يا اله الاحياء بعد أن مجدوا اسمك وحملوا صليبك ونالوا شركة كأس مسيحك.. أولئك يارب الذين اخذتهم **الدكتور بهجت عطا الله، والدكتور نبيل صبحى، والدكتور طلعت عبده حنين** نيح نفوسهم فى أورشليم السمائية ورسخهم فى ديارك يا إله الكل واعطهم يا رب أجرهم السمائى عوض حفظهم وغيرتهم على إيمانك، واقبل إليك سؤالتهم وهم الان فى حرية الروح من أجل ظروف واحتياجات هذه الخدمة. أما نحن الغرباء فى هذا العالم احفظنا فى إيمانك وانعم لنا بسلامك إلى التمام. لك المجد أبيك الصالح والروح القدوس.

القس أثناسيوس فهمى جورج
Ireland Dublin
2007

إكثوس *IXΘYΣ*

آلام الرب الجديدة

لا يزال الرب يتألم بسبب فساد الأعضاء الذين سقطوا وارتدوا عن الوصية المقدسة (٢بط٢: ٢١) ويصفهم القديس بولس الرسول بتدقيق: «الذين داسوا ابن الله ، وحسبوا دم العهد الذى قدسوا به دنساً ، وازدروا بروح النعمة» (عب١٠: ٢٩) فكان خيراً لهم لو لم يعرفوا طريق البر من أنهم بعدما عرفوا يرتدون .

يقول الكتاب أن مثل هؤلاء يسببون للرب آلاماً مبرحة ، إذ يجددون عليه آلام يوم الصليب: «يصلبون لأنفسهم ابن الله ثانية ويشهرونه» (عب٦: ٦) ، ذلك لأنهم يضعون عار الخطية على الجسد المقدس الذى اشتركوا فيه ، والذى صار فيهم ، فيجعلوا جسد المسيح شريكاً فى إثمهم ونجاستهم «أفآخذ أعضاء المسيح وأجعلها أعضاء زانية؟» (١كو٦: ١٥) لأن أجسادهم بعد أن تتحد بالمسيح تصير أعضاء فى جسده «ألستم تعلمون أن أجسادكم هى أعضاء المسيح» (١كو٦: ١٥) .

فإذ هم يستهينون بسيادة الرب ، ويدنسون أجسادهم (يه ١: ٨) يحسبون الدم الذى قدسوا به دنساً (عب١٠: ٢٩)!! وليس ذلك فقط بل إذ يرتدون علناً (٢بط٢: ٢١) ويصنعون الخطية بإستهزاء مزدرين بروح النعمة «عب١٠: ٢٩) ، ليس فقط يصلبون لأنفسهم ابن الله ثانية بل ويقول الكتاب «ويشهرونه» أى يفضحونه!! إذ يخضعون للشيطان جاعلين الشيطان أفضل من المسيح والروح القدس ، فيكون عملهم كمن يعطى

القدس للكلاب» (مت٧: ٦) أو يبيع ابن الله بثلاثين من الفضة!! وهم فى إقترافهم الخطايا عن عمد يضعون عارها على الجسد المقدس كما كان على الصليب تماماً ، لذلك قيل أنهم «يصلبون لأنفسهم ابن الله ثانية» .

ولكن لم يقل الكتاب «إنهم يصلبون ابن الله» فقط ، بل يصلبون «لأنفسهم» ابن الله ، أى أنهم يتحملون وحدهم مسئولية هذا العمل وعقابه كيهوذا الذى أسلم الجسد للصليب والفضيحة عن عمد ، لذلك لم يجد مكاناً للتوبة ، كذلك تمتنع التوبة والتجديد لمن يستهينون بالجسد والدم والروح «لا يمكن تجديدهم للتوبة» .

لذلك فإن عقابهم يكون أشر من عملهم (عب١٠: ٢٩) ، إذ يقطعهم الرب من جسده متألماً ، كمن يقطع الغصن الفاسد من الكرمة بلا رحمة «كل غصن فىّ لا يأتى بثمر ينزعه» (يو١٥: ٢) ليُلقى فى النار .

وهؤلاء الذين يجحدون الإيمان ويتركون الطريق والدعوة التى دُعوا إليها ، يرددون صدى أصوات «اصلبه ، اصلبه» لترن فى آذان المخلص فى السماء بسبب إرتدادهم عن الإيمان والوصية المقدسة ، فمن جحد المسيح إنما اشترك فى صلبه «إذ هم ينكرون الرب الذى اشتراهم يجلبون على أنفسهم هلاكاً سريعاً» (٢بط٢: ١) .

إن خطر عدم الوعى الإيمانى الصحيح يجعل بعض الأوراق الخريفية تذبل وتسقط منفصلة عن الكرمة ، عندما تفرط فى وديعة إيمانها من أجل مال أو جنس أو شهوة ، بينما تزكية إيمانها هى أثمن من الذهب

الفانى (١بط١ :٧) .

والذين غلظت قلوبهم وآذانهم وتثقلت أسماعهم وغمضوا عيونهم لئلا يبصروا بعيونهم ويسمعوا بآذانهم ويفهموا بقلوبهم ويرجعوا فيشفيهم (مت١٣ :١٥) تعمدوا العناد والمقاومة والإنكار والشك والرفض والإستهانة أولئك يصلبون المسيح ثانية «فكيف ننجو نحن إن أهملنا خلاصاً هذا مقداره» (عب٢ :٣) .

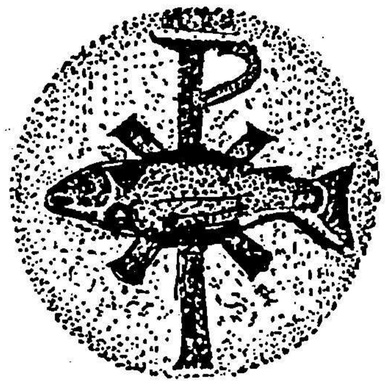

الإرتداد الجزئى

يعيش البعض فى أمية روحية وفى جهالة ، ولا يأخذون من المسيحية إلا إسمها فيحيون «مسيحية إسمية» فى إرتداد جزئى ، تلك التى يصفها الآباء بأنها «**خطية جميع الخطايا**» ، عندما يتسموا مسيحيين وهم ليسوا كذلك ، وما من شك فى أن الإرتداد الجزئى يؤدى الى إرتداد كلى .

الخطية أصل الداء

إذا أصيب إنسان ما بالحمى ، فأشتهى أن يشرب مشروبا بارداً وهذا ليس فى صالحه ، وجاء الطبيب ومنعه أن يتمم شهوته فتزايدت فيه الرغبة وتناوله حسب شهوته المهلكة ومات ، فليس من عيب هنا على الطبيب الذى مهمته أن يمنع ، أما التحفظ والإحتراس فهذا واجب المريض يقيناً ، وبهذه الطريقة أهلك الشيطان يهوذا عندما غمره بالطمع فإشتهى مال الفقراء وسرق الصندوق وازدرى بالنعمة «كم عقاباً أشر تظنون أنه يحسب مستحقاً من داس ابن الله »(عب١٠ :٢٩) .

«إن كل منْ يعمل الخطية هو عبد للخطية» (يو٨ :٣٤) والبعض لا يستطيعون إكتشاف دهاء وخبث الخطية وتلونها بألوان زائفة أمام الساذجين بأعذار بريئة ، بعيداً عن التقييم الواقعى للخطية «لا تقدر شجرة رديئة أن تصنع أثماراً جيدة» (مت٧ :١٨) .

فلو رفض الإنسان الخطية وصد الشيطان مقاوماً شكوكه ، تُعطى له

الغلبة ويُتوج بعدم الموت «قاوموا أبليس فيهرب منكم» (يع ٤: ٧) ، ولأصبحت حياته إرتقاءً من مجد إلى مجد «إقتربوا إلى الله فيقترب إليكم» (يع ٤: ٨) والإنسان الروحى لا يعمل الخطية «نعلم أن كل من ولد من الله لا يخطئ ، بل المولود من الله يحفظ نفسه والشرير لا يمسه» (١يو٥: ١٨)

كثيرون من الذين تدخل قلوبهم محبات غريبة يتورطون فى العصيان والجهالة ويتمرغون فى حمأة الخطية التى تودى بهم إلى الإرتداد ، لأنه لا توجد خلطة للبر مع الإثم ، ولا شركة للنور مع الظلمة ، ولا إتفاق للمسيح مع بليعال (٢كو٦: ١٤) ومملكة الخطية لا يمكنها أن تعايش ملكوت الله .

ونتيجة للبداية الروحية الخاطئة والفتور الروحى الذى يصيب البعض ، أو بسبب السطحية والأمية الروحية ، أو بسبب الشكلية والروتينية فى الممارسات الروحية ، أو بسبب التنشأة البعيدة عن الجو الكنسى الحى ، يسقط الإنسان فريسة للخطية ، فما أسهل التزاحم على المسيح ، وما أقل الحاصلين على الشفاء .

فلا يقدر الإنسان أن يعترف بالله ولو دعى نفسه مسيحياً ألاف المرات بينما هو يخطئ ضد الله ، فمن يسمح لنفسه أن يصنع ما يكرهه الله لا يقدر أن يعترف بالله ما دام يحتقر الوصايا الإلهية ويرجع للأمور العتيقة .

إن الناظر إلى النفوس التى تبيع المسيح يجدها فى شقاوة الخطية ، تحتقر النعمة من أجل مجانيتها ، وعندئذ يلقى الشيطان بالخطايا فى قلبها

فتصير كيهوذا الذى دخله الشيطان فباع المسيح بالفضة .

فلنسمع العروس فى نشيد الأنشاد ـ التى هى أنا وأنت والكنيسة كلها مجتمعة ـ وهى تخاطب عريسها المسيح قائلة: «قد خلعت ثوبى (العتيق) فكيف ألبسه؟ قد غسلت رجلى فكيف أوسخهما؟» (نش٥: ٣) وكأنها تقول لنا ما قاله القديس بولس الرسول «نحن الذين متنا عن الخطية كيف نعيش بعد فيها» (رو٦: ٢) !!

هل يُجبر الإنسان على الإرتداد عن الوصية؟

إن نوالنا الخلاص إنما يكون بأعمال إقتدائنا بالمسيح ، فالمسيحى الذى يضل طريقه فى متاهة طرقات متشابكة لا يقتفى أثر المسيح مخلصنا الذى نجنا بأفعاله الخلاصية التى صنعها من أجلنا ، وأعطانا أن ننال هذا الخلاص بإقتفاء أثار أقدامه.

فسيمون الساحر فقد نعمة الخلاص لأن قلبه لم يكن مستقيماً أمام الله (أع٨: ١٣) ، لذلك فإن آباء الكنيسة حينما يتكلمون عن نعمة المعمودية يتكلمون عن قوتها للخلاص ، ولا يقصدون مجرد أداء طقس المعمودية بل هم يقصدون بالحرى بركات سر المعمودية المصحوب بالإيمان الحى ، ذلك الإيمان لا يبقى ساكناً بل يتحقق ويظهر يوماً فيوماً من خلال الجهاد الروحى والعبادة وشركة القديسين والتوبة المتجددة والتطبيق الدقيق لوصايا الإنجيل .

وهكذا فإن الإنسان المسيحى وهو يجاهد ليحصل على الملكوت إنما

يمارس خلاصه فى حياته اليومية ويعيش شاهداً لقوة هذا الخلاص ، بعد نوال الروح القدس الذى هو عربون ميراثنا والمتعهد بتكميل خلاصنا .

لقد تكلم المسيح فى أحد أمثاله عن «الأقوى» الذى استطاع أن يوثق «القوى» ويدخل بيته وينهب أمتعته (لو١١ :٢١) ذلك الأقوى هو المسيح مخلصنا وحده الذى يغلب أبليس وينتزع الفريسة البريئة من تحت قبضته وسلطانه.

لكن ينبغى أن يقبل الإنسان المسيحى عمل النعمة وأن يتجاوب مع الإيمان ، وقد يكون عمل الإيمان من جانب البشر صغيراً جداً ليس أكبر من حبة الخردل ، لكنه دور الإنسان باعتباره حر الإرادة لا مسلوب الإرادة لأن الصلاح لا يمكن أن يفرض بالقوة على الإنسان .

لذلك لا بد أن تظهر ثمار الخلاص فى حياة الإنسان المسيحى ، فى أن يعيش خلاص المسيح بالإيمان ويحرسه بالأعمال والإجتهاد «كونوا راسخين» لأن رسوخ الإيمان يعنى سلوكاً يُرضى الله الذى دعانا إلى ملكوته ومجده (١تس٢ :١٢) حاسبين أنفسنا أمواتاً عن الخطية لكن أحياء لله بالمسيح يسوع ربنا (رو٦ :١) .

عجيبة هى دعوة الحياة المسيحية التى تحاصرنا حتى فى ضعفنا وفتورنا وتقلبات الفكر والجسد ، إذ أن المسيح بنفسه تكفل أن يسد ضعفنا «الذى سيثبتكم ايضاً الى النهاية بلا لوم... أمين هو الله الذى به دُعيتم إلى شركة ابنه يسوع المسيح ربنا» (١كو١ :٨) .

أما النفس المغلوبة من أبليس فيسهل إرتدادها عن الإيمان (عب٢ :٣) لذلك يحذر القديس بولس «انظروا ايها الإخوة أن لا يكون فى أحدكم قلب شرير بعدم إيمان فى الإرتداد عن الله الحى» (عب٣ :١٢) .

ويشبه القديس باخوميوس الإنسان المسيحى الذى تصيبه الغفلة عن خلاص نفسه ويستسلم للإفراط فى أعمال الجسد والإستهتار بالنعمة ، بشمشون الذى أصابه الغرور واستسلم لإمرأة غريبة حلقت رأسه ففارقه روح الله فى الحال ، وبالتالى ضعفت قوته فأتى الغرباء وربطوه وذهبوا به إلى موضع الطحن حيث أصبح أضحوكة وألعوبة ، ثم قلعوا عينيه وصيروه أعمى .

وكل من يتهاون بخلاص نفسه ويهادن الخطية ويكون تحت نير مع غير المؤمنين ، لن ينفك من الأسر حتى يموت عند الغرباء كعبد أسير... فلنستيقظ من الغفلة ونهرب من القاسى القلب الغاش لئلا يقلع عينى عقلنا .

ولن يُجبر إنسان على عمل الشر لأن هذا لا يمكن أن يحدث إطلاقاً ، ولا يرغم الإنسان على السقوط فى أية خطية ما دام لا يقبلها بل يقاومها أما الإنسان الذى يتهاون بخلاص نفسه فشهوته هى التى تصرعه ، والذى يُفسح للخطية مجالاً فى داخله بتوانيه ورغبات قلبه المنحرفة ، يسهل جداً أن يُفرض عليه الشر أو الخطية من خارجه .

ينبغى ألا نتصور أن الإنسان يسقط فجأة ، ولكن لابد أن يسبق ذلك إخفاق أو إنخداع وممارسة خاطئة للحياة المسيحية ، تماماً كما أن المنزل

لا يسقط أبداً بإنهيار مفاجئ بل عندما يكون هناك خطر أو صدع فى أساساته أو بسبب تجاهل سكانه لمدة طويلة تتسرب أسباب الإنهيار «بالتجاهل الغبى يسقط البناء وبإرتخاء اليدين يتحطم البيت» (جا١٠: ١٨) وهذا بعينه ما يحدث للنفس التى تصل إلى أن «الماء المتسرب يجرد الإنسان من بيته فى يوم عاصف» (أم٢٧: ١٥)

إن سقوط الإنسان لا يحدث فجأة ، إنما أوجاع النفس تتسرب تدريجياً فإن لم تقاوم فى أوائل تسربها ، لابد أن تتحطم دعامات الحياة الروحية وتتحول النفس من الإرتداد الجزئى إلى الإرتداد الكلى .

كل غصن لا يتغذى من عصارة الكرمة لا ينمو ولا ينضج ولا يثبت، والأوراق الخريفية تذبل وتسقط بعد أن تترك الوصية والإتكال على الله والثقة فى عنايته وحمايته ، وتدخل فى تيار الخطية وفى مناقشات غبية صائرة تحت نير مع غير المؤمنين .

إن السيد المسيح ، كلمة الله ، مخفى وراء الوصية ، فمنْ يعيش الوصية يلتقى به ، ومنْ يرتد عن الوصية يبتعد عنه ويمسك بحبال خطيته (أم٥: ٢) .

هل يمكن أن يرتد خادم عن الإيمان؟

يذكرنا القديس بولس «إذاً من يظن أنه قائم فلينظر أن لا يسقط» (١كو١٠: ١٢) ، فالسقوط يمكن أن يحدث حتى للخدام «لأن كثيرين ممن كنت أذكرهم لكم مراراً ، والآن أذكرهم باكياً وهم أعداء صليب

المسيح» (فى٣: ١٨)، ويشرح بولس الرسول مأساتهم فيقول «الذين نهايتهم الهلاك ، الذين إلههم بطنهم ومجدهم فى خزيهم ، الذين يفتكرون فى الأرضيات» (فى٣: ١٩) .

إن الخادم الذى يترك محبته الأولى والذى له اسم أنه حى وهو ميت ، وكذا الخادم الفاتر ، يذهب عنه روح الرب وينزع منه ملكوت الله ، ولعل أسوأ مثال لمنْ هلكوا من الخدام كان يهوذا الأسخريوطى أحد الأثنى عشر، وديماس مساعد بولس الرسول الذى تركه إذ أحب العالم الحاضر (٢تى٤: ١٠) .

فالصراع قائم بين الحياة والموت و«الذى يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص» (مت١٠: ٢٢) ، «لم تقاوموا بعد حتى الدم مجاهدين ضد الخطية» (عب١٢: ٤) وكل منْ لم يتدرب على الجهاد واليقظة الروحية ملاحظاً نفسه والتعليم ، يفقد الطريق وتكون أواخره أشر من الأوائل .

ينزعج المؤمنون عندما يرون هذه الأمور حادثة بينما يحدثنا الرسول بولس عن أشخاص «بدأوا بالروح وأكملوا بالجسد» (غلا٣: ٣) .

سيكولوچية الشخص المرتد

لابد من فهم نفسيات الذين يرتدون عن الإيمان ، ذلك أن الإيمان في صميم شخصية الإنسان وحياته .

الشخصية المتشككة

كثير من الشخصيات القابلة للتشكيك تريد أن تُخضع الأمور العقيدية للعيان لا الإيمان ، وأن تُخضع الأمور الإلهية العالية عن الأفهام لمستوى الحواس والإدراك البشرى المحدود .

وعندما تقع الشخصية الشكاكة فريسة لحروب أبليس من جهة سلامة إيمانها ، تنسلخ من جسم الكنيسة فيسهل تضليلها ومحاربة إيمانها .

والشك يعدم الإنسان الرؤية الصحيحة ، لذلك نجد أن عمل عدو الخير الرئيسى هو إثارة الشكوك وتشكيك الإنسان فى قوة الإيمان فمن جانب يحطم نفسيته ليعزله عن الله ، ومن جانب آخر يستفرد هو به.

إن الأفكار التشكيكية تتسلل وتزحف داخل الثقوب الصغيرة لتفسد كرم النفس فى بدء نموها ، ولتبدد ثمر الإيمان خلال المفاهيم المضادة التى تضل قلب البسطاء والمتشككين ، بينما أمور الإيمان غير منظورة

وفوق المنطق .

ويميل البعض إلى تغطية عجز وقصور شخصياتهم بالاسترسال فى مناقشات وإثارة الشكوك ، من أجل رغبتهم فى الظهور وإثبات الوجود بالكبرياء العقلى .

وواجبنا مع هذا النمط من الأشخاص أن نعمل معهم من أجل مزيد من الإيمان لينتهى بهم شكهم إلى شهادة توما الرسول فى صرخة إستعلان «ربى وإلهى» (يو٢٠ :٢٨) .

الشخصية اليائسة

هناك نمط من الشخصيات التشاؤمية اليائسة التى تنحنى أمام ضغطات الحياة ومن ثم تتحرك فى طريق مسدود ، فتتورط فى مشكلات وتعالج مشكلات بمشكلات جديدة «فقدوا الحس ، اسلموا نفوسهم للدعارة ليعملوا كل نجاسة فى الطمع» (أف٤ :١٩) .

وذلك اليأس يدفع هذا النمط إلى تورط مادى أو عاطفى أو جنسى ، بل وربما يرى أن فى تورطه هذا لوناً من ألوان الإنتقام من المجتمع المحيط به فيسرى اليأس فى النفس كفعل السم البطئ ، وفى الحقيقة أن اليأس فى ذاته علامة على عدم إيمان النفس التى ترفض الأدوية بحجة إستعصاء شفاء جراحاتها ، بينما شخص المسيح هو سلامنا ورجاؤنا ، وهو وحده الذى يهدئ ثورات النفس الداخلية ويسندها .

الإنسان اليائس والقلق يزيد إلى ضربات العدو الشرير ضربات أخرى

يقوم هو بها فيتحالف مع الشيطان ويترك لشهوته العنان ويُدخل العالم إلى قلبه... إنها ضربات يوجهها لنفسه بنفسه ، فيكون كالملاكم الذى يترك رأسه بين يدى خصمه.

فالشيطان يستخدم كل الحيل ليزرع فى النفس فكر اليأس والخوف من الرجوع ليثقل أحمالها فتهلك سفينتها «يسقطون ولا يقومون ، أو يرتد أحد ولا يرجع» (أر ٨:٤)إذ عندما تُثقب السفن تدخلها المياه من أسفل فتغرق .

فى كل وقت تحتاج هذه النفوس إلى الإيمان الذى هو منبع كل البركات وترياق الخلاص ، وبدونه يستحيل أن تملك شيئاً من التعاليم الإلهية ، بدونه يشبهون أناساً يحاولون عبور المحيط بدون سفينة ، معتمدين على إجادتهم للسباحة فيستعملون أيديهم وأرجلهم ، حتى إذا ما تقدموا قليلاً سرعان ما تبتلعهم الأمواج ، وهكذا بينما يتمسكون بيأسهم متغاضين عن الإيمان ومرساة الرجاء «تنكسر بهم السفينة من جهة الإيمان» (١تى١ :١٩) .

الشخصية الأنانية (النرجسية)

هذا النمط الأنانى من الشخصيات يجعل صاحبه لا يفكر فيمن حوله تاركاً إنتماءاته الأسرية ـ (رابطة اللحم والدم) ـ وإنتماءاته الكنسية ، وفى مشاعر متبلدة لا يرى إلا شهوته ورغباته الحمقاء كما لو كانت لائقة .

فالنفس الأنانية مستبيحة تظْلم بالشهوات وبالمجد الباطل وتغرق فى

أعماق الجهالة ، لا تعود تسمع لا لوصايا الكتاب المقدس ولا لنداءات العقل الطبيعى ولا لنصائح أباء الكنيسة ورعاتها «صلّبوا وجوههم أكثر من الصخر أبوا الرجوع» (أر٥ :٣) .

وبإختصار تنجذب النفس الأنانية لأية لذة جسدية وتعاودها الأفكار والأفعال النرجسية والتخيلات ومشورات العدو فتندفع فى نوبة شيطانية تجذبها جاذبية مغريات العالم وشهوات الجسد ، فيقترب منها الأشرار ليأكلوا لحمها .

إن ما تعانيه النفوس الأنانية المختالة من رفض لإغداق نعمة الله عليها ، يحرمها من صلابة الرجاء ويصيرها كغبار يندفع بعيداً عن الأرض الصلبة الثابتة ، عندما تبرد محبتها بسبب برودة خطاياها المتزايدة فتصير جامدة كالثلج لا تبالى بنموها وبأبديتها .

الأمر الذى أعلنه الله فى أشعياء «ربيت بنين ونشأتهم أما هم فعصوا علىّ» (أش١ :٢) فهؤلاء البنين صاروا بنى الغرباء ، فبحسب الطبيعة هم أبناء ، إذ هكذا خلقوا ، لكن حسب أعمالهم لم يعودوا أبناء له ، فيقتلعون ولا يكون لهم موضع فى الكنيسة مدينة الرب .

إن الشيطان يدفع حرب الأنانية والنرجسية إلى النفس بغير هوادة ولا يتركها تتنفس لحظة واحدة من الزمن كى يحرمها من الخلاص ، لا لأن الله قد رفضها و إنما لأن قلبها مبنى على الرمل لا الصخر... مبنى على محبة نفايات العالم الواهية ، لا محبة يسوع الحقيقية .

فيهوذا رفض النعمة ، والشعب غليظ القلب فى القديم رفض الله وعبد العجل الذهبى .

الشخصية المترددة

هذا النمط من الشخصيات يتسم بالسذاجة واللامبالاة وعدم الرسوخ «رجل ذو رأيين هو متقلقل فى جميع طرقه «يع١ :٨) ومن ثم تعرج هذه الشخصية بين الفرقتين ، دائمة التقلب ، تائهة بين أمور كثيرة ، تترنح وتسير فى خط ملتو *zigzag*.

إن الشخصية المترددة ضعيفة الإرادة تتنكر للنور ولا ينتظرها بعد ذلك إلا الظلمة وراء الظلمة! والإنسياق فى الخطية هو التورط من السئ إلى الأسوأ حتى تمام الغرق ، وكلما ظن الإنسان أنه وجد ملجأ فيه سلامته ، يكتشف أنه إزداد غوصاً فى الوحل ، فالتردد ظلمة لا نهاية لها وليل بلا فجر ، لأنه لا يقدر أحد أن يخدم سيدين ، والخضوع لسيدين هو خداع «يشبه موجاً من البحر تخبطه الريح وتدفعه فلا يظن... أنه ينال شيئاً من عند الرب» (يع١ :٧) .

لذلك الشخصية المترددة لا تختبر الفكر من بدايته إن كان ضاراً أو نافعاً بل ترفض أو تقبل الأفكار حتى قبل تضاعفها وضغطها دون أى تباطؤ فى إرتباط أثيم معها ، وهكذا نرى الضعيف المتردد يؤذيه كل شئ ، أما القوى فينتفع من كل أمر ، وفى كل حالة تكون الإرادة هى علة الشر ، وتكون الحالة هى السبب ، فمن كان فى ضعف ساد عليه

الضعف ، ومن كان فى قوة صارت له القوة .

ويطرأ التغير على النفس المترددة وفقاً لنوعية الظروف التى تقابلها فنقرأ عنها « أما الجاهل فيتغير كالقمر» (ابن سيراخ٢٧ :١٢) ، تتردد فى رغباتها وشهواتها وجموحها «كل الأشياء تناوئ الرجل الجاهل» (أم١٤ :٧) تتحول عن الأبديات وتصنع هلاكها بالموت بيدها مزدرية بروح النعمة وبالثبات فى المسيح الكرمة الحقيقية .

الشخصية السطحية

هذا النمط من الأشخاص يتسم بالأمية الروحية والضحالة «ليس كل من يقول لى يا رب يا رب يدخل ملكوت السموات بل الذى يفعل إرادة أبى الذى فى السموات» (مت٧ :١٥) .

فالحياة مع الله ليست مجرد إيمان نظرى (أى الإعتقاد الدينى) أو مراعاة لبعض الشكليات ، لذلك لابد أن يتميز إيماننا بأن يقترن بالمعرفة والأعمال الصالحة حتى يختلف عن إيمان الشياطين الذين «يؤمنون ويقشعرون» (يع٢ :١٩) فتصبح إيمانياتنا بعيدة عن هامشية العقل وسطحية المعرفة وشاطئية الممارسة .

إن النفس التى تحيا فى سطحية يكون هلاكها أمراً وارداً «هلك شعبى من عدم المعرفة» وربما كثير من المتعلمين لا يعرفون شمالهم من يمينهم مكتفين بالقشور دون العمق والجوهر ، بينما «الرخاوة لا تمسك صيداً» (أم١٢ :٢٧) .

وهنا يتضح أن الجهل وعدم المعرفة هو الذي يضيع غير المتنبهين وغير العارفين ، لأن أبليس - كما هو واضح من أسمائه - يدعى «المضلل» ، بينما المسيح إلهنا يحل في قلوبنا بالإيمان لنتأصل ونتأسس وندرك ما هو العرض والطول والعمق والعلو (أف٣: ١٤).

الشخص السطحي لا يستطيع أن يبني نفسه على الإيمان الأقدس ، محمولاً بكل ريح تعليم بحيلة الناس بمكر إلى مكيدة الضلال (أف٤: ١٤) بينما كل إنسان مسيحي مدعو للدخول إلى العمق ليُمسك سمكاً كثيراً جداً (لو٥: ٤) .

ليس هناك متسع من الزمان نقضيه في السطحية لئلا نُلام على فلس أيدينا وفقر حصادنا... فلنبنِ بيوتنا بأن نحفر ونعمق ونضع الأساس (لو٦: ٤٨) .

الشخصية الخيالية غير الواقعية

هذا النمط من الأشخاص يعيش في أحلام اليقظة فيصور له خياله أن مشاكله سوف يتم حلها إذا ترك الإيمان المسيحي ، وتتحول الشخصية الخيالية إلى حماقة في الفكر متجهة إلى التفاهة مثل الإنسان الذي يحاول في ليل بلا قمر أن يسير في طريق غريب أو يسافر في بحر لا دراية له به ، فلا يبلغ وجهته بل يضل في خيالات غير واقعية ، في محاولة التحليق في الأوهام ، وهكذا يتبدد النور من نفوسهم وعوضاً عنه يسلمون ذواتهم لأفكارهم الذاتية ويطلبون الله غير الهيولي (أي غير

المادي) في الأجسام والزمنيات جاعلين له أشكالاً وأصناماً ، وتتنوع خيالات هذه الشخصيات ، ورغم أنهم يملكون أشياء غالية لكنهم يريدون غيرها غير مكتفين بما أُعطي لهم ، لاهثين وراء كل جديد .

إنه في الأزمنة الصعبة (٢تي٣: ١) يخاف البعض لئلا يفقدوا المملكة الأرضية ، بينما هم يفقدون السمائية التي كان يليق بهم أن يخافوا فقدانها... يمشون في شهوة الزمنيات ويخالطون أهل هذا العالم ، لا يفهمون ولا يطلبون الله .

لا شك أن كل عقل حسب مقدار تدرجه يستنير بكمية محدودة من النور ، أما النفس الغارقة في برودة خيالاتها فتهلك ، إذ أن الشيطان غير قادر على تقديم شيء عملي ، لذا يقدم بالأكثر وعوداً خيالية خادعة .

إن الله هو قائدنا والشيطان هو مهلكنا ، القائد يقدم وصايا وأدوية الخلاص ، والمهلك يقترح الخداع والموت ، فهل نصغي إلى وصايا الحياة أم إلى خداع الموت؟

الشخصية العاطفية

هذا النمط من الشخصيات تنجذب عاطفياً في أي إتجاه وتسمع لصوت الغريب ولا تخضع لصوت الضمير أو لمنطق الأشياء فتبتعد عن التعقل والحكمة وتسلك في تفاهاتها ممزقة أوصال الوجود الإنساني ذاته .

تلك النفوس لا تظهر إيمانها ورجاءها بالله بإزدرائها ونفورها من تصورات الشر والإنقياد العاطفي الخادع ، بل على العكس تتلذذ بها وقت

أن تتعرف عليها وتنجرف فيها ، وعندئذ تُترك بلا معونة لعدم أمانتها وإتكالها على ذراعها ، فتواجه من كل ناحية مصادمات التورط العاطفى التى تتوارد عليها ، بعد أن سعت إليها ولم تظهر أى حذر نحوها منذ بدء ظهورها «ثعالب صغيرة مفسدة الكروم» (نش٢ :١٥) .

تتعرض الشخصيات العاطفية إلى سهام الشيطان وهجوم الشهوات وأوجاعها مما يسبب إضطرابها ، منقادة بعواطفها إلى الموت مثل المجنون أو السكران ، عندما تغذى الدوافع الجنسية الأفكار والعادات لتتحرك الخطية الكامنة .

فعندما تُحرم النفس من خلاصها نتيجة شهوتها ـ وراء كل إلحاد شهوة ـ تبدأ فى الغرق إلى أسفل ، متورطة ومقيدة بطوق من حديد ، مختارة لنفسها أن تفعل وتقول كل ما يضاد خلاصها ، فكما أن المجانين عندما يفقدون سلامة عقلهم لا يعودون يخافون أو يخجلون من شئ ، بل بدون خوف يتجاسرون على صنع كل شئ ولو أدى إلى سقوطهم فى النار أو فى هوة عميقة ، هكذا النفوس المتورطة فى علاقات عاطفية سلبية تندفع نحو الرذيلة حتى يأتيها الموت كحد فاصل لجنونها وإنسياقها فى تيار يصنع لها عاراً وأضراراً لا حد لها .

لقد صارت نفوس عديدة عدوة لنفسها ، أحرقتها نيران شهواتها وسموم عاطفتها الشريرة ، فارتكبت أعمالاً إجرامية نابعة من عدم الإيمان متحججة بأعذار لا تنفع ، فكان النار والكبريت نصيب كأسها .

لكى لا ننكر المسيح

حاجتنا إلى المسيح

بمنتهى السهولة والواقعية نقول «المسيح يسوع هو حياتنا الحقيقية... هو حياتنا التى لا يمكن أن تفارقنا» هذا هو الواقع الإلهى الحى «المسيح حياتنا» (كو٣ :٤) الذى عاشه المسيحيون الأوائل جيلاً بعد جيل مؤكدين على أن المسيح هو الحياة ، وهو الذى يعجن جبلتنا من جديد بحياته الخاصة ويغرس فينا حياته الخصوصية مع كل صفوف شعب الله الحى .

لذلك لنعلم يقيناً أن المسيح ربنا هو حاجة حياتنا الوحيدة التى تنقصنا وأننا إذا بعدنا عنه إزدادت حاجتنا إلى أشياء كثيرة من هذا العالم ، وإزداد قلقنا على الأمور الخاصة والعامة فى حياتنا .

وكثيرون من الذين ينحدرون فى الإرتداد الجزئى يتوهمون أن العالم سيوفر لهم إمكانية حل مشكلاتهم ، بينما يقدم لنا القديس موسى الأسود خبرة حياته فى قوله«إلجأ بنفسك إلى الله فتستريح» ويقول القديس أغسطينوس «خلقتنا يارب متجهين إليك وستظل نفوسنا قلقة إلى أن تستريح فيك» .

والجواب الوحيد الذى يرد على العديد من التساؤلات ، أو على وجه الأصح الذى يلغى التناقضات ، هو أنه لا يوجد علاج للذين تعصف به غرائزهم ومطامعهم وشهواتهم ، فيتمردون على كل القيم الروحية ويصابون

بعمى روحى يجعلهم يقترفون أشنع التعديات حتى ضد أنفسهم سوى إقتناء شخص المسيح أولاً ، وبعد ذلك كل ما للمسيح من غنى وشبع وسرور .

فإقتناء المسيح يجعل الإنسان يتجاوز عجزه ومرضه وقصوره وجوعه وألامه وموته ، الأمر الذى تلمسه النفوس المؤمنة الواعية التى أدركت أن المسيح لا يباع ولا يثمن بثمن «لأن الذين أُستنيروا مرة وذاقوا الموهبة السماوية وصاروا شركاء الروح القدس وذاقوا كلمة الله الصالحة وقوات الدهر الأتى وسقطوا ، لا يمكن تجديدهم ايضاً للتوبة» (عب٦ :٤) .

الجزع من الصليب ورفض الباب الضيق

يرفض الذين يتركون الإيمان أن يدخلوا من الطريق المؤدى إلى السماء ومن الباب الضيق ، وينزلقون فى السبل الرحبة المؤدية إلى الهلاك ، إذ أنهم يرفضون المرور من الباب الضيق غير عالمين أن لذة التراب لن تدوم وأنها قصيرة وليس لها مجازاة... تعبر سريعاً ولا يبقى لصاحبها منها شئ.

والذين يحملون صليبهم لا يجزعون من الضيقات «ليقل الضعيف بطل أنا» (يوئيل٣ :١٠) فعندما يفارقون الحياة يكون لديهم رصيد من الأكاليل.

إن طريق البر يحوى جهادات كثيرة وحرباً مع أجناد الشر الروحية «منْ لا يحمل صليبه ويأتى ورائى فلا يقدر أن يكون لى تلميذا» (لو١٤ :١٧).

أغلب الذين يتركون الإيمان ينزعجون من ضيق الباب ويرتدون أمام ما يتطلبه الطريق من جهاد وحمل الصليب ، وهذا محك هام يؤكد سلامة الخبرة والمسيرة الإيمانية «أما نحن فلسنا من الإرتداد للهلاك بل من الإيمان لإقتناء النفس» (عب١٠ :٣٩) .

وديعة الإيمان

هذه الأمانة سلمها الرب لعبيده ، وديعة الإيمان الثمين وسر الخلاص على أساس الأمانة والمتاجرة والربح ، لأنه بعد عودته سيطلب منهم حساب الوكالة .

فمنْ هو الوكيل الأمين الحكيم الذى يقيمه سيده على خدمه؟ أما الذى استهتر بسيده ولا يحفظ ثيابه فيمشى عرياناً وترى عريته ويطرح إلى الظلمة الخارجية (مت٢٥ :٣٠) ، والذين يكملون توبتهم ويرجعوا تمحى خطاياهم وتأتى عليهم أوقات الفرج من عند الرب ، أما الذين لا يكملون فيرتدون ويقطعون ويكون نصيبهم مع الخائنين .

فالمعمودية كاملة فى مفعولها إلا أنها لا تكمل إنساناً أخفق فى تتميم الوصايا ، ووديعة الإيمان لا تكون فقط أن نعتمد للمسيح بل أن نعكف على تكميل وصاياه حتى لا نكون ضمن الذين وبخهم الرب قائلاً : «لماذا تدعوننى يا رب يا رب وأنتم لا تفعلون ما أقوله؟» (لو٦ :٤٦) أولئك الجهال الذين أسسوا بيوتهم على رمال شهواتهم الخاصة .

ولنعلم يقيناً أنه بدون إيمان لا يمكن إرضاءه (عب١١ :٦) فترس

الإيمان هو الذى يطفئ جميع سهام الشرير الملتهبة ، وإذا كان بطرس الرسول قد إحتاج إلى معونة الرب لكى لا يفنى إيمانه ، فمن هو الذى يكون هكذا أعمى حتى يتصور أنه فى غير حاجة إلى تعضيد يومى من الرب لكى يحتفظ بإيمانه!! «زد إيماننا» (لو١٧ :٥) «يا سيد أعن عدم إيمانى» (لو٩ :٢٤) .

إن النفس التى يخطبها المسيح العريس السماوى لنفسه لأجل شركته السرية الإلهية ، بعد أن تذوق غنى الإيمان السمائى ، يجب عليها بكل الجهد والميل العقلى أن تحفظ وديعة إيمانها لترضى حبيبها وترفع نفسها إلى هذا العريس السمائى بسيرتها الإيمانية الحسنة .

ومتى كنا متيقظين ساهرين على سلامة إيماننا لن يسطو علينا اللص ، ولن ننكر إيماننا حتى فى وقت الشدة (رؤ٢ :١٣) لكن نكمل السعى ونحفظ الإيمان ، لأن تزكية إيماننا هى أثمن من الذهب الفانى الممتحن بالنار ، طالبين دائماً من رئيس الإيمان ومكمله (عب١٢ :٢) أن يعين ضعف إيماننا ، وهذه تكون الغلبة التى تغلب العالم: إيماننا (يو٥ :٤) .

حفظ القلب من الإرتداد

يوصينا الكتاب المقدس بحفظ القلب «احفظ قلبك لأن منه مخارج الحياة» والذى لا يحفظ قلبه يصير مثل أولئك الذى قادهم موسى النبى ، فرغم أنهم لم يرجعوا بأجسادهم إلى مصر إلا أنهم رجعوا بقلوبهم ورفضوا الله الذى أخرجهم ، إذ يقول الكتاب «ورجعوا بقلوبهم إلى مصر قائلين

لهارون اعمل لنا آلهة تتقدم أمامنا» (أع٧ :٣٩، ٤٠) فلننظر لئلا نسقط فى دينونة مثلهم ، إذ بعد أن ذاقوا المن السمائى اشتهوا الطعام الأرضى الذى للخطايا وفرطوا فى هدف مسيرتهم وحياتهم .

ويحذرنا الكتاب «لا تحبوا العالم ولا الأشياء التى فى العالم» (١يو٢ :١٥) فمنذ الآن الوقت مقصر لكى يكون الذين لهم نساء كأن ليس لهم ، والذين يفرحون بالعالم (هداياه ومجده وماله وعزه وإغراءاته) كأنهم لا يفرحون ، والذين يشترون (ويكنزون مالاً وعقاراً ومقتنيات) كأنهم لا يملكون ، والذين يستعملون هذا العالم (للظهور والمتع والمراكز والقوة) كأنهم لا يستعملونه ، لأن «عند الذين يترجون الرب والحياة التى لا تزول» هيئة هذا العالم تزول (١كو٧ :٢٩) .

ولن يحفظ القلب من الإرتداد إلا بمخافة الله ، فحيث لا توجد مخافة لا يوجد إصلاح حقيقى للسيرة «أجعل مخافتى فى قلوبهم فلا يحيدون عنى» (أر٣٢ :٣٩) ، والتوبة المستمرة هى الثمن الذى حدده الرب من أجل الحصول على الغفران وهبة ميراث الحياة الأبدية ، ومهما كان الإنسان أكثر شراً فالله أكثر رحمة ، والإعتراف بالخطية يهونها بقدر ما أن إخفاءها يكبرها ، لأن الإعتراف بمخافة هو قرين الرضا ، أما الإخفاء والتأجيل هو قرين التمرد «ها أنت قد برئت فلا تخطئ ايضاً لئلا يكون لك أشر» (يو٥ :١٤) .

ويطلب منا الله قلوبنا «يا ابنى اعطنى قلبك» بينما كثيرون لا يحفظون قلوبهم من الإرتداد الجزئى فيرتكبون عثرات متكررة عن عمد لإغاظة

الرب (أش٣ :٩) بلا خجل ولا حياء معتبرين أن ما يمارسونه هو حق طبيعى للإنسان ، وبينما هو يولون ظهورهم لله ينكرهم هو ايضاً ويجيبهم قائلاً «إذهبوا عنى لأنى لا أعرفكم» «إن كنا ننكره فهو ايضاً سينكرنا» (٢تيمو٢ :١٢) .

الرجوع إلى حظيرة الإيمان ثانية

إن كبار الخطاة هم مؤهلون أكثر للنعمة ، فالكنيسة تُكرّم بوجه خاص كل من الابن الراجع واللص التائب على الصليب والمرأة التائبة ، والذين يسيئون إلى المسيح يومياً ويجرحون المحبة ، يقبلهم الرب بقطرات الدم الكريم التى سُكبت على الصليب ويقترب من كل من يرجع إلى الحظيرة مهما كانت ذنوبهم وخبراتهم المرعبة وما يسميه الدارسون «الليل الحالك الظلمة» والله يطلب منا علة صغيرة لكى يقوم هو بكل العمل ويسكب علينا فيض النعمة كدواء مناسب للجراحات بل وايضاً يعطى صحة وجمالاً ومجداً وإستحقاقاً لكل من يرجع ، إذ أنه قد دفع أكثر بكثير من العقوبة ، كمثل ما تفوق مياه المحيط قطرة ماء صغيرة .

«من هو إله مثلك ، غافر الإثم وصافح عن الذنب ، لا يحفظ إلى الأبد غضبه فإنه يُسر بالرأفة» (ميخا٧ :١٨) لقد أتى ليعفو عن المديونين بالكثير أو بالقليل ويظهر رحمته للصغير والكبير ، فيرحم كل أحد حتى من الذين تركوا الحظيرة ورجعوا تائبين مقرين بخطاياهم ، يقبلهم وينسى لهم ماضى الخطية المحزن والقاتل للنفس .

ورجوع النفوس أمر هام لنمو الكنيسة ، الأمر الذى يطلبه الرب ثمناً لدمه ، لذا تعمل الكنيسة على إصلاح ضعفاتهم وتحتملهم ولا تلقيهم عنها مهما تثقلت بهم ، ليجدوا أنفسهم موضع عطف وتبكيت لا موضع إزدراء ورفض ، فمغبوط هو الذى يؤدب فى هذه الحياة ، فإن الرب لا يعاقب عن أمر مرتين .

وتوصى الكنيسة برجوع النفس التى تميل وبقبول النفس الخارجة وإعادتها إلى الرعية ، تسأل عن المطرود وتفتش عن الضال حتى لا يهلك وتطلب المريض بالغفلة لتأتى به من بين الذئاب لتبشره بالرجاء .

وهى تترفق حتى بمنكرى الإيمان ولا تغلق عليهم أو تطردهم ، بل تصب عليهم زيتاً وخمراً لتضمد جراحاتهم ما داموا قد رجعوا تائبين معترفين بخطاياهم طالبين الشفاء وراغبين فيه .

وإن تأجلت إعادتهم إلى الشركة لفترة توبة ، فليزيدوا من ندامتهم لئلا يهلكوا بعد أن مات المسيح لأجلهم ، وليقبلوا بكل رضى كل علاج ونصيحة ، فإن كان الطب الجسدى يقدم الأدوية المرة والجراحة بقطع الأعضاء والكى بالنار ، فكم بالحرى يكون خلاص النفس .

لن يكون الرجوع إلى الحظيرة بدون قانون التأديب ، لأن «الذى يحبه الرب يؤدبه ويجلد كل ابن يقبله ، إن كنتم تحتملون التأديب يعاملكم الله كالبنين ، فأى ابن لا يؤدبه أبوه» (عب١٢ :٦) وكل نفس تنكر الإيمان وتجحد المسيح لابد أن تقف على حقيقة خرابها ويصير تأديبها إحساناً عظيماً لها .

إلا أنه مهما كان هلاكها وسقوطها ، سيمر عليها السامرى الصالح حارس الأرواح ولن يتركها ملقية بين حى وميت ، إنما يتحنن عليها ويشفى إرتدادها .

فأولئك الذين يخطئون بعد المعمودية لابد أن ينالوا تأديباً أكثر من الموعوظين ، لأنهم عرفوا أدوية التوبة وطريق الخلاص ولم يستخدمونها ، وبقدر ما تتسع مراحم الله ، يزداد تأديب من لم ينتفع بهذه المراحم .

لهذا تضع الكنيسة قوانين توبة وجهاد روحي للخراف المريضة الراجعة حتى إذا شفيت عادت مع الخراف الصحيحة.. تعالج بالنصيحة لا الحكم، بالدواء لا القصاص ، بالتقويم لا التعذيب ، بالشفاء من الخطية والحفظ من الخطايا الأخرى .

والذين يُظهرون إنحرافاً زائداً فى شرورهم ، لابد أن يُظهروا غيرة كبيرة عند عودتهم إلى الحظيرة ، وذلك لشعورهم بثقل الدين العظيم المدينون به مدفوعين بضميرهم وتذكرهم لسقوطهم فى الطيش الشيطانى ، على اعتبار أن الحياة الحاضرة هى زمان السيرة الحسنة لأن بعد الموت تكون الدينونة والعقاب «ليس فى الجحيم من يعترف لك» .

نقول أن الذين غلبوا أبليس ورجعوا إلى حظيرة الإيمان لهم كرامة أفضل بكثير من أولئك المغلوبين «واحد يتقى الرب خير من ألف منافقين» (ابن سيراخ١٦ :٣) .

والكنيسة تبكى من أجل كل نفس بعيدة لتعيد لها الحياة وتقيمها

من الموت ، وتُعطى إهتماماً خاصاً لهذه النفوس التى سرقها اللصوص... تقوى المريض وتعصب المجروح وتجبر الكسير وتسترد المطرود وتطلب الضال وتجمع الخراف المشتتة على جبال المعاصى لتأتى بهم إلى الحظيرة ثانية

مر يارب أن تمتلئ بيعتك ، محضراً الراجعين إلى وليمتك لأنك أنت تخلق «روحياً» من يتبعك عندما تدعوه .

الخلاصة
أساليب وخبرات

❑ إن مهمة الكنيسة الأساسية هى حفظها لأولادها ، لأن فيها حفاظ على كيانها ككنيسة المسيح التى تهتم ببناء النفوس وخلاصها: بالتوبة والعبادة وكلمة الانجيل والشركة والشهادة والإعداد للحياة الأبدية بالأسرار والتعليم والإرشاد والوعظ والافتقاد والخدمة والعمل الرعوى.

❑ ومن أخطر الملاحظات أن بعض المؤمنين يرتدون إلى الخلف ، ونحن بالطبع لا نقصد الإرتداد النهائى وإنكار المسيح علناً ـ مع أنه وراد ـ لكننا نقصد الإرتداد الجزئى الذى يمكن أن يؤدى إلى إنكار نهائى بصورة أو بأخرى «لأنه سيقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة حتى يضلون لو أمكن المختارين ايضاً» (مت٢٤ :٢٤).

❑ والملاحظ أن الذين يرتدون أحياناً عن الطريق تكمن أسباب إرتدادهم فى إنتشار السابق لمجئ الرب الثانى «الروح يقول صريحاً أنه فى الأزمنة الأخيرة يرتد قوم عن الإيمان» (١تى٤ :١):

١) البداية الروحية الخاطئة وعدم وجود خبرة مسيحية (السطحية والأمية والهامشية الروحية) .
٢) مشاكلة أبناء هذا الدهر والوقوع تحت نير مع غير المؤمنين (الخلطة).
٣) الجزع من الصليب ورفض الدخول من الباب الضيق .

٤) المنازعات والأحوال الشخصية .
٥) مصادمات الحياة اليومية ، والإصطدام بالأجواء الفاسدة والإغراءات والشخصيات المنحرفة .
٦) ضعف الرعاية والخدمة ، فالبعد عن أعين الكنيسة ومناطق الرعاية يجعل خراف القطيع مطمع للذئاب .
٧) عثرات الجو الكنسى ، فالخادم المعثر وبال على الكنيسة «خير له لو يعلق فى عنقه حجر رحى ويغرق فى لجة البحر» (مت١٨ :٦) .

❑ لذا ينبغى أن تتضاعف الرعاية الروحية وخصوصاً فى المناطق المهمشة، لتقديم الإشباع الروحي والقلبى للنفوس البعيدة مكانياً ، فالذين لا يقدرون أن يأتوا إلى الكنيسة تنتقل هى إليهم لتقدم لهم ايضاً المصل الواقى «درهم وقاية خير من قنطار علاج» .

❑ يلزمنا وضع منهج متخصص لخدمة هذه الخراف ، يتضمن تدعيمها إيمانياً وروحياً وسلوكياً ، فإذا كانت الكنيسة قد قدمت تعليماً كرازياً للوثنيين ، وتعليماً وعظياً للمقبلين على قبول نعمة المعمودية (تعليم الموعوظين) وتعليماً لاهوتياً للمؤمنين (مدرسة الأسكندرية اللاهوتية) وتعليماً إيمانياً للرد على البدع والهرطقات فى عصر المجامع ، وكذلك أعدت برنامجاً لتعد أبناءها للإستشهاد فى عصر الإضطهاد ، هكذا يتعين عليها وضع برنامج خاص للرد على الشكوك الإيمانية وللوقاية من الإرتداد (تكلم القديس اغريغوريوس صانع العجائب عن «جحد المسيح نتيجة الخوف والضغط» ، وتكلم القديس كبريانوس عن «المرتد») .

❑ تحتاج هذه الخدمة إلى خدام صلاة ، فالنفس التى ترتد عن الإيمان ينبغى أن نصنع عليها مناحة لتنتشل من وحل الخطية ، وتغتسل إلى أن تعود إلى كمال حسن صورتها التى أبدعها الله على شبهه والسير بها قدماً فى طريق التوبة والحياة المسيحية السوية.

❑ لن تكون خدمة هذه الخراف بالمحاجاة والمقاومة أو بالتعنيف ، بل بالمشورة الصالحة والمثابرة والإستمرارية فى خدمتهم بيقظة وبصيرة لا تعرف الكلل ، والروح القدس لن يكف عن أن يكملنا بصلاحه ويعطينا قلوب وديعة ورحبة لنساعدهم على تعديل سلوكهم .

❑ إن كثير من الخراف الضالة تحتاج إلى رعاية تهتم بكيانهم وشخصياتهم دون النظر إلى أفعالهم وقصورهم ، بل الإهتمام والإلتفات إلى نفوسهم المتوارية عن مجتمع الكنيسة والتى يظنون أنه ما من أحد يهمه أمرهم ، دون أن ندينهم البتة أو نحسسهم بفداحة أمراضهم مع سرعة توجيههم إلى أب روحى وطبيب خبير بالنفس البشرية يلقى نظرة شاملة على أمراضهم ويلم بكل نواحيها ليعالجها ككل دون إغفال لظواهرها المرئية.

❑ تلك الأبوة الروحية ترعى كل ابن ضال وتعطى الدواء الذى قد يكون فى أغلب الأحيان مراً علقماً لكنه دائماً ذو فاعلية ناجحة ، فما من أحد من هذه الخراف إلا ويحتاج إلى ترك حالة اليأس والسقوط والحياة كما كان من قبل ، لتتجدد قوته الروحية خلال فاعلية صلوات الأباء الروحية وحكمتهم العالية وقوة محبتهم الأبوية الواضحة التى يدركها مباشرة وفى

الحال ويحسها بطريقة مقررة وثابتة ، ويقول العلامة ديونيسيوس الأريوباغى «هكذا ينبغى أن يهذب الجهال ، لا أن يعاقبوا ، أن يؤخذ بيد الأعمى للسير به فى الطريق السوى لا أن يلفظ ويلكم» .

❑ كثيراً ما نظن أن خدمة هذه الخراف تكون بالتقدمات والعطايا المادية ، بينما هى تستلزم بالأكثر صلوات يمتزج فيها العرق مع قطرات الدم.. ومن غير المتصور ألا يكون هناك إجتماعات صلاة وقداسات خاصة لأجل هذه الأعضاء ورجوعها «إن اتفق أثنان منكم على الأرض فى أى شئ يطلبانه فإنه يكون لهما من قبل أبى الذى فى السموات» (مت١٨ :١٩)... صلاة بإيمان أن المسيح ربنا يستطيع أن يحرك الجبال «الحق أقول لكم لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل كنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا إلى هناك فينتقل ولا يكون شئ غير ممكن لديكم» (مت١٧ :٢٠) ، فعلينا المواظبة على التوسل واللجاجة من أجل أن يقوم الرب ويعطينا قدر ما نحتاج لأنه لا يرفض طلباتنا التي حسب مشيئة قلبه .

❑ إن مفهوم خدمة إيمانيات أعضاء الكنيسة يدفع المؤمنين جميعاً فى كل زمان ومكان أن يصلوا ويتوسلوا من أجل خلاص العالم بمحبة شاملة، لكى يقترب المسيح من خرافه المرتدة بود شديد ويحاول معهم متوسلاً إليهم ألا يستهينوا بحبه وخلاصه ، وأن يتركوا عنهم النفور والتصام عن سماع صوته الإلهى .

❑ التركيز فى هذه الخدمة ينصب على تقديم الإيمان الحى وجدية التوبة والرجوع ، حتى لا تتحول المسيحية إلى تصورات نظرية فاترة لا

جدوى فيها ، بينما ينبغى أن تُخدم هذه النفوس المشوشة والمشوهة لترجع أيقونة كاملة لله بحثها على المواظبة على وسائط النعمة والممارسات الروحية .

❑ إن النفوس التى جحدت الإيمان وارتدت ، يمكننا أن نقول دون أدنى مبالغة أنها لم تتجاوب مع عمل النعمة ، أو أنها لم تتلقى أى تعليم دينى فى طفولتها ، وغير مخدومة روحياً ، لذلك تحتاج إلى تذوق حلاوة المسيح بالمقارنة بمرارة ثمار العالم حتى تتخلى عن أساليب حياتها الأولى وتقلع عن سلوكها وعوائدها القديمة ، حيث كانت سابقاً بلا أدنى حصانة فى مواجهة العالم الخارجى لأنها لم تكن بعد قد عرفت الكنيسة وتتعلم هذه النفوس فى الكنيسة أن تمشى وأن تبصر وأن تتكلم وأن تحيا ، وكل رغبة فى الحياة لابد نابعة من الروح القدس «المعطى الحياة والمالئ الكل كنز الصالحات» .

❑ والخادم الروحى هو الذى يستر على ذنوب الآخرين كما يستر الله على عيوبه ويمحوها بدمه... يستر على العثرات التى يراها كأنه لا يراها ، والتى يسمعها كأنه لا يسمعها ، ويضع نفسه جنباً إلى جنب مع المذنب المُدان والمحروم .

❑ والذى لا ننجح فى خدمته لا نتركه بل نستودعه لخادم آخر لخدمته ، إذ يحتاج المرتد إلى عمل فردى لا ينتهى بمجرد رجوعه لكنه يحتاج إلى متابعة وأشبين خاص لخدمته كحالة خاصة على أن تتم الخدمة فى ستر وسرية ، لعلنا بذلك نشترى ما يستر عرينا نحن قبل أن يأتى يوم الفحص .

❑ تحتاج هذه الخدمة إلى حلول سريعة منطقية دون أن نقدم فيها أى وعود مادية حتى لا نتعامل بمنطق الطمع والإبتزاز والمساومة التى تتلف خلاص النفس ، وليس بالنطق أبداً بأقوال عاطفية باطلة لا طائل منها إنما بقيادة كل إنسان فى طريقه نحو الله ، قيادة متزنة حكيمة ، بعيداً عن الضجيج والشوشرة «خلصوا البعض بالخوف مختطفين من النار» (يه١ :٢٣) .

❑ ينبغى أن نفهم واجب الكنيسة وعملها الرعوى تجاه هذه الخدمة (خدمة الخروف الضال) لا بتقديم تعليم يُقصد منه الإستحسان أو بإتباع سياسات التحويلات بل بمقابلة الإحتياجات بالبذل والصلاة والمحبة التى لا تسقط أبداً ، وبالإستشعار المبكر من أجل خدمة كل نفس «اعرف خاصتى» وذلك بالعضوية الكنسية وبالإفتقاد والعمل الفردى وزرع الإيمانيات وتقديم القدوة مع مراعاة: خدمة الأسرة ، الخدمات التنموية ، مدن الملجأ ، التوعية..... مع التركيز على الفئات المستهدفة .

❑ نريد أن ندرك جميعاً قيمة النفس البشرية وخدمتها بالأحضان المفتوحة مع تقديم المعونة الروحية والمادية فى حينها ، الأمر الذى يستلزم تكوين خدام لخدمة هذه الحالات والإلمام بظروفها الإجتماعية والروحية وهزاتها الإيمانية وإنحرافاتها السلوكية ، لمساعدتهم على إجتياز مشاكلهم والخروج من ورطاتهم مع الإلتزام بالحكمة والهدوء وعدم الإنفعال بجانب المرونة واليقظة إذ هي أدوات لازمة للذين يخدمون خدمة الخروف الضال.

❑ نريد أن نبتعد عن مقولة «ابن الهلاك للهلاك يُدعى» لأننا لا نقدر أن

نصنف أحد أنه ابن هلاك ، فليس من إختصاصنا أن نحكم على أحد أو أن ندين أحد ونقضى على أى إنسان بالهلاك الأبدى .

❑ يلجأ بعض العاملين فى هذه الخدمة إلى أساليب بشرية ، بينما طالما نحن حملان سوف نغلب حتى لو كان هناك عشرة ألاف ذئب يحومون حول الفريسة ، فنحن سنغلبهم بالصلاة والإيمان والعمل الروحى ، أما إذا جعلنا أنفسنا ذئاباً فسوف نصير إلى حال أسوأ ، لأن معونة راعينا ستتخلى عنا.. لأن الراعى لا يعول الذئاب بل الحملان ، فهو يتركنا ويعتزل لأننا لا نعطيه الفرصة ليظهر قوته ولطفه معنا ، أما إن كنا نرد على الضربات فإننا نظهر بذلك أننا نتجاهل نصرته ، وكان من الممكن أن لا تتعرض لنا الذئاب وأن نكون نحن أقوى جداً من الأسود ، لكن الله رأى من المناسب أن نكون هكذا «حملان وسط ذئاب» ليتمجد هو أكثر ويعلن قوته «تكفيك نعمتى لأن قوتى فى الضعف تكمل» (٢كو١٢ :٩).

شكراً لله لأنه مهما كان إرتدادنا وتقهقرنا ، فأمامنا وعد المسيح الصادق "غنوا للكرمة المشتهاة ، أنا الرب حارسها ، أسقيها كل لحظة... فى المستقبل يتأصل يعقوب" (أش٢٧:٣) وحتى لو قال عنا "شعبى جانحون إلى الإرتداد" فالذين معنا أكثر من الذين علينا ، وأمامنا وعد أن المسيح فى وسطها فلن تزعزع إلى الأبد ، وأنه هو الذى يستطيع أن يقول

"أنا أشفى إرتدادهم" (هو١١:٧).

الفهرس

مقدمة ٥

آلام الرب الجديدة ٦

الإرتداد الجزئى ٩

الخطية أصل الداء ٩

هى يجبر الإنسان على الإرتداد عن الوصية؟ ١١

هل يمكن أن يرتد خادم عن الإيمان؟ ١٤

سيكولوچية الشخص المرتد ١٦

الشخصية المتشككة ١٦

الشحصية اليائسة ١٧

الشخصية الأنانية (النرجسية) ١٨

الشخصية المترددة ٢٠

الشخصية السطحية ٢١

الشخصية الخيالية غير الواقعية ٢٢

الشخصية العاطفية ٢٣

٥)القديس چيروم «الرسالة إلى استوكيوم» ٦)القديس أغسطينوس «عن البتولية» .

٢) كتاب «التربية عند آباء البرية»

يتضمن دراسة وافية عن الأنشطة التربوية فى الكنيسة الأولى ، موضحاً دور الأسرة ودور الكنيسة فى التربية ، كما يشرح أهم النظريات التربوية عند الآباء والتى تشمل «الوراثة والبيئة ، النعمة الإلهية ، إمكانية التربية ، هدف التربية ، الحياة النسكية كوسيلة للتربية» وكذلك يتناول العلاقة بين الأب الروحى وتلميذه وسمات كل منهما ودوره وطبيعة العلاقة بينهما ، بجانب أنه يؤرخ للوسائل التعليمية ووسائل الإيضاح التى استخدمها آباء الكنيسة فى تربية تلاميذهم ، واخيراً يناقش موقف الآباء من الثقافة وتأثيرهم فيها ، ودور المدارس الرهبانية فى التربية فى العصر الآبائى .

٣) كتاب «سيكولوچية الاعتراف»

يُعد هذا الكتاب أول دراسة سيكولوچية نفسية لسر الاعتراف ، وهو يتناول المفاهيم السيكولوچية عن الخطية والذنب ودور أب الاعتراف وتأثيرات هذا الدور من منظور سيكولوچى ، وأوجه التشابه والإختلاف بين الاعتراف والعلاج النفسى ، كما يشرح الأبعاد السيكولوچية للحل والمغفرة وحاجات المعترف النفسية ، وايضاً يفحص سر الاعتراف كوسيلة للتغيير والتحول نحو المسيح وكإكتشاف للاشعور ، ثم يوضح دور الكاهن كخديم لسر الاعتراف وكمعالج للمعترف .